وعشرة اقسام مادّة دهنيّة كالشحم او زيت النخل وما شاكل ثم اضاف اليها ثمانين قسماً من البترول فاغلاها مدّة ساعة وهي في درجة دون درجة فوران البترول. فاذا برد المزيج صار شبيه الشحم الجامد ويمكن الحصول على موادّ يدخلها تسعون قسماً في المائة من الوَقود فاذا اشتعلت لا يبقى من الرواسب الفاضلة سوى خمسة اقسام في المائة

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمّد بن صالح (تابع لما سبق)

ومن الحوادث ما جرى في سنة ستّ وثمانمائة (١٤٠٤م) فكان متملّك قبرس قصد ان يسترجع الماغوصة من الجنويّة. فبلغ الجنويّة ذلك فجهّزوا عمارة ليأخذوا منهُ قبرس فاصلح (٤) الرّوادسة (١ بينهُ وبينهم على حكم ان يقوم لهم بمائة وعشرين الف دينار في نظير كافتهم على التعميرة فتوجّهت التعميرة المذكورة الى العلايا (٢ فلم يقدروا عليها فتوجّهت منها الى طرابلس وبها الامير دَمَرْداش (٣ نائباً. فنزل الفرنج الى البرّ لكنّ المسلمين تكاثروا عليهم ومنعوهم الوصول الى المدينة فرجعوا الى مراكبهم مخذولين بالخيبة

ثم حضروا الى بيروت في العشرين من محرّم سنة ستّ وثمانماية فلمّا رآهم اهل بيروت همّوا بترحيل حريمهم واولادهم وامتعتهم فأُخليت بيروت من اهلها ولم يكن بها متولٍّ ولا عسكر مجرّد للحرب سوى امراء العرب ومعهم بعض جماعة. وكان قد توحّش خاطرهم لظنّهم انّ في التعميرة خيولاً فخافوا من ذلك. فنزل الفرنج من الشواني الى البرّ في مكان يسمّى الصنطيّة غربيّ البلد في الرابعة من النهار وتملّكوا البلد ونهبوهُ واحرقوا الدار التي لتأ على البحر والسوق القريبة من الميناء. وصار المسلمون يتجمعون شيئاً فشيئاً وجعل اصحاب النخوات يهجمون على من تفرّد منهم في الازقّة فقتلوا منهم جماعةً واستشهد من المسلمين

---

١) يريد بالروادسة قبرسان رودس

٢) العلايا تخفيف العلائيّة وهي مدينة حديثة على ساحل بحر الروم جنوبي انطاليا (Adalia) بناها علاء الدين احد ملوك السلجوقيين

٣) هو دَمَرْداش الحمودي كان نائباً على طرابلس من قبل الملوك الشراكسة المصريين ثمّ ولي نيابة سلطنة حلب سنة ٨٠٧ (١٤٠٥م) وتقلّب في عدّة مراتب وتوفي نحو سنة ٨٢٠ (١٤١٧م)

ثلاثة نفر . وحضر المتولي الامير يوسف التركماني الكسرواني (١ فاقام الفرنج في بيروت الى قرب العصر ثمّ رجعوا الى مراكبهم . وتتبّع المسلمون بقيّتهم

وفي تلك الليلة توجّهوا الى صيدا . وتوجهنا قبالتهم في البرّ فلما قربوا من صيدا على مسافة دون (16 ميلٍ من البلد نزلوا الى البرّ . وكان قد اجتمع على صيدا العُشران (٢ وغيرهم ولم تجسر الفرنج على الدخول الى البلد . وكان مالك الامراء شيخ الخاصكي الملقّب في سلطنته بالملك المؤيد (٣ قد خرج من دمشق يدور في البقاع وبعلبك فبلغهُ نزول الفرنج على طرابلس فتوجّه اليها فلم يلحق الفرنج فحضر الى بيروت بعد فوات الامر . فلم يلبث ببيروت ووصل الى صيدا بجماعةٍ قلائل والناس يلحقونهُ تباعاً . فادرك الفرنج في البرّ بظاهر صيدا . وهجم عليهم ونحن معهُ حتّى كاد يختاط بهم ورموا علينا بالجروح (٤ وانجرح فرس الخاصكي في موضعين وجُرح بعض جماعة من المسلمين فرجعوا عنهم . ثمّ طلع الفرنج الى مراكبهم وتأخرت عن الشطّ الى الجزيرة بميناء صيدا . وبات ملك الامراء والمسلمون قبالتهم ورسم ملك الامراء على امراء الغرب ان يكونوا حرّاساً على شاطئ البحر بالقرب منهُ فاصبح المسلمون والفرنج على الجزيرة وملك الامراء يظنُّ انهم ينزلون ثانياً وتهيّأ لحربهم واحضر ابواباً كثيرة تكونُ عوضاً عن الزحّافات والستائر للزحف عليهم عند نزولهم فلم ينزلوا

ثم بعد ذلك اليوم توجّهوا راجعين الى جهة بيروت قاصدين نهر الكلب ليملأوا منهُ ماء . وعيّن ملكُ الامراء الامير الكبير سودون الظريف (٥ ليتوجّه قبالة التعميرة ومعهُ امراء الغرب فوجدوا التعميرة متوجّهة الى جهة بلادهم وكانت مؤلّفة من ستة واربعين مركباً منها شواني كبار وصغار تبلغ سبعة وثلاثين شوّانة والبقيّة مراكب (16 . وقيل انّهُ كان معهم سفن كبار فيها سبعمائة فرس فانفردت السفن المذكورة عنهم في الطريق الى جهة الاسكندريّة . ثمّ رجعوا من قرب الاسكندريّة الى بلادهم ولم ينزلوا الى برّ

ومن جملة ما نهبهُ الجنويّة المذكورون من بيروت حواصل تُجّار لفرنج البنادقة بقيمة

١) لم نطّلع على شيء من اخباره ٢) راجع ص ٢٧٨

٣) هو شيخ المحمودي الظاهري كان من اكبر الامراء في ايّام السلطان فرج زين الدين ثم اتّفق مع الخليفة المستعين بالله العباسي على خلع فخلع وقُتل ثمّ تآمر شيخ المحمودي على المستعين فخلعهُ وتولّى السلطنة وحدهُ وتلقب بالملك المؤيد . توفي سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١م)

٤) راجع حوادثي ص ٢٧٨ ٥) لم نرَ لهُ ذكراً في غير هذا التاريخ

عشرة آلاف دينار . فبلغ البنادقة ذلك واقتضوا من الجنوية نظيرهـا وازيد . وكان ملك الامراء قد رسم لمتولي بيروت ان يقطع رؤوس قتلى الفرنج وان يعسّر على ابدانهم مسطبةً على باب بيروت ويكتب عليها اسم ملك الامراء . وجهّز الرؤوس الى دمشق ثم الى مصر فحصل في انفس الذين قتلوا الفرنج غيرةٌ لنسبة المسطبة الى غيرهم فهدموها ليلًا واحرقوا ما كان بها من رمم الفرنج

فصل في ذكر قواعد بيروت

لما كان الفرنج مستولين على بيروت كانت جماعة المسلمين قليلة ولا جامع لهم فلمّا قدّر الله بنزعها من يد الفرنج استقرّت كنيستهم جامعًا وكانت تُعرَف عندهم بكنيسة مار يُحنّا (١ وكان بها صور فطلاها المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايّام الجدّ (٢ فبيّضهُ وازال عنهُ آثار تلك الصور . وكان المسلمون يجتمعون لصلاة الجمعة فلم يكملوا في بعض الاوقات اربعين شخصًا فيصلّي بهم الخطيب ظُهرًا (٣ وفي بعض الاوقات كانوا يبلغون الاربعين بمن حضرهم من الضواحي فيصلّي بهم جمعةً . ثمّ تكاثرت المسلمون بها جعلها اللهُ دار سلام وايمان الى (٢٠) يوم الدين

ثمّ بعد ذلك صارت بعض مراكب الفرنج تتردّد اليهـا بالمتاجر قليلًا قليلًا . وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس وصاحب قبرس يرسل بضائعهم في شرنتين كانتا لهُ الى بيروت نقلةً بعد اخرى . وكان للقبارسة كنُس ببيروت وجماعة من التجّار يسكنون فيها ولهم خانات وحمّامات . ثمّ بطل ذلك وتكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج . وكانت ضرائب الواردات والصادرات تؤخذ ببيروت وهي تبلغ جملةً مستكثرة . وكان على باب الميناء دواوين وعامل وناظر ومشارف (٤ وشادّ (٥ يوليهم نائب دمشق . والمتوفّر عن المرتّبات يُحمل الى دمشق

---

١) ولا يزال مكتوبًا عند مدخل الباب الشرقي باليونانية: φωνὴ Κυρίου ἐπὶ τῶν ὑδάτων صوت الرب على المياه (سفر المزامير ٢٨ : ٣)

٢) يريد المؤلف جدّهُ وسيأتي ذكرهُ

٣) في الاصل « طُهرًا » وظنّ ان المراد هنا صلاة الظهر

٤) ويقال المُشرف . وكانت رُتبة المُشرف من مناصب الدولة العليـا في ايّام السلاطين المماليك . قال القلقشندي في ترجمة السلطان بيبرس : ومُشرف الممالك مرتبتهُ دون الوزارة

٥) الشادّ ويقال لهُ ايضًا المشدّ كان يتولّى الدواوين وغيرها من الوظائف في ايام الملوك

وكانت تُعطى وظائف للعمّال فتحصل جامكيّة (١ المستولي وجوامك للقاضي والخطيب ولاربعين قرّا غلام (٢ بخيول وعشرين مُشاة وطَبلخانات (٣ وكوسات وافرة وزُمُر ومناظرية للبحر وزهجيّة (٤ وحمام بطاقة (٥ مدرّج الى دمشق وبريد. وقرّروا ايضاً اعلاماً نارية تصل الى دمشق في ليلة. فكانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة. ومنهُ الى جبل برارش (٦ ومنهُ الى جبل يبوس (٧ ومنهُ الى جبل الصالحية ومنهُ الى قلعة دمشق فكانت النار تحوادث في الليل وحمام البطاق تحوادث في النهار والبريد للاخبار (١٦٣)

ولمّا جدّد الامير بَيْدَمُر نائب الشام سور بيروت على جانب البحر جعل اوّلهُ من عند الحارة التي لنا على البحر واصلًا الى تحت البرج الصغير العتيق عمارة تنكز (٨ نائب الشام المعروف ببرج البهائية وجعل بين هذا السور وبين البرج المذكور باباً وركّب عليهِ سلسلةً تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسمّي باب السلسلة (ستأتي البقية)

الجراكسة وكان شادُّ لقصر السلطان ولحوشهِ وكان شادُّ الاسواق والسلاح والمراكب وغير ذلك من الوظائف المفردة (راجع زبدة كشف الممالك للظاهري ص ١١٥)

١) مرَّ ان الجامكية هي راتب العُمَّال

٢) يريد السُّود من الغلمان و « قرا » بالتركية الاسود

٣) كانت امارة الطبلخاناة من الرتب العسكرية لضرب الآلات. قال خليل الظاهري في كتاب كشف الممالك: وكانت عدَّة الطبلخاناة التي تدقُّ على باب السلطان تتألف من اربعين حملًا من الكُوسات (وهي الطبول الصغار) واربعة طبول دهول (كذا) واربعة زُمور (وهي الزمّارة) وعشرين نفير (والنفير البوق) وكان عليها مهتارٌ بخدمتهِ مماليك كثيرون

٤) لا نعلم ما كان من امر هذه الرتبة

٥) هو الحمام السيّار لنقل الاخبار

٦) احد فروع جبل لبنان (راجع ص ٢١٢ من كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان)

٧) قال ياقوت « هو جبل بالشام بوادي التيم من دمشق » وسمّاهُ في كتاب اخبار الاعيان « بيرس »

٨) هو الامير سيف الدين ابو سعيد تنكز احد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولّاهُ الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ (١٣١٢م) ولهُ آثار جليلة وبنايات بدمشق والقدس وصفد. ثمَّ تغيَّر عليهِ السلطان عماد الدين اسماعيل بن الناصر فقبض عليهِ وقتلهُ في الاسكندرية سنة ٧٤٠ (١٣٤٠ م)